الغديرُ في ملاحم الشعر المسيحي
قراءة تداولية

Alghadeer in epics of Christian poetry
Deliberative Reading

أ.م.د. آلاء محمد لازم
Dr. Alaa Mohammed Lazem.
جامعة بغداد- كلية التربية للعلوم الانسانية - ابن رشد
قسم اللغة العربية

University of Baghdad / College of Education for Human Sciences / Ibn Rushd / department of Arabic language.

كلمات مفتاحية : الملاحم ،التداولية ،الاستراتيجيات ،القصد

ملخص البحث

يحاولُ البحثُ تقديم قراءة جادة لملاحم الشعر العربي المسيحي الذي استلهم من يوم الغدير الكثير من العبر ،والاستنتاجات ، فأخذ شعراء المسيح ينسجون من وحي هذا اليوم صوراً فنيةٍ بقدراتٍ إبداعيةٍ لتوجيه المتلقين الى أهميته في تصحيح مسار الانسانية .تُعدّ ملاحم الشعر العربي مادةً شعريةً ثرّةً ،ومهمةً لم يسلّط عليها الضوء ،ولم تقدّم عنها دراسات أدبية تبرز مكامن الإبداع المتجسّد بين ثنايا اللغة ،والدلالة، والصورة .

نحاول في البحث قراءة هذه الملاحم وفق ماجاءت به معطيات النظرية التداولية لبيان قدرة الشعراء على الاستلهام الفكري ،والفني من يوم الغدير، وتأسيس خطابٍ شعري موجّه إلى المتلقّي لحثّهِ وتوجيهه على الالتزامِ بالمعطياتِ والعبرِ والأفكار المنطوية تحت فكرة يوم الغدير ،والتي من شأنها الدعوة إلى التمسّك بأواصرِ أهل البيت السفينة إلى نجاة الانسانية .

هذه المفاهيم والمعطيات مجتمعة زادت من إصرارنا على قراءة ملاحم الشعر المسيحي ،محاولين البحث عن مدى قدرتها على تحقيق عملية التواصل بين الأوساط المتلقية كما ارتأينا تحليلها بطريقة مغايرة عبر التعّمق في دلالاتها، ومقاصدها، وحقيقة الوظائف التي تؤديها اللغة فيها، وأهدافها التواصلية من خلال التركيز على بنية اللغة ،والوظائف الأساسية التي تؤديها باعتباره خطاباً لا يتجسّد إلاّ عبر اللغة كونها العصب في إحداث التواصل بين المبدع والمتلقي

Abstract

The research tries to provide a serious reading of epics of Christian Arabic poetry, which was inspired by many lessons and conclusions from the Day of Al-Ghadeer, so that the poets of Christ weave from the inspiration of this day artistic images with creative abilities to guide the recipients to its importance in correcting the path of humanity. The Arabic poetry epics are rich and important poetic material not shed light on it, nor was it presented literary studies that highlight the potentials of creativity embodied between the folds of language, significance, and image.

In the research, we try to read these epics according to the data of the deliberative theory to demonstrate the ability of poets to gain intellectual and artistic inspiration from the Day of Al-Ghadeer, and to establish a poetic discourse directed to the recipient to urge and guide him to adhere to the data, lessons and ideas involved under the idea of the Day of Ghadir, which would call for adherence to the bonds Of (Ahl Albayt) ship to the salvation of humanity.

These concepts and data combined have increased our insistence on reading epics of Christian poetry, trying to search for the extent of their ability to achieve the process of communication between the recipient circles, as we decided to analyze them in a different way by delving into their connotations, their purposes, the reality of the functions that the language performs in them, and its communicative goals by focusing on The structure of language, and the basic functions it performs as a discourse that is only embodied through language, as it is the nerve in bringing about communication between the creator and the recipient.

المقدمة

الحمد لله وحده ،والصلاة والسلام على من لانبي بعده،وبعد....

ظلّتِ الملحمة على مرّ الزمان محافظة على تألّقها ،وسحرها ،باسطة سلطتها على نفوسِ، وعقولِ المتلقين ،كونها تحمل تراثاً فنياً متنوّع الرؤى ،متعدّد التأثير تتجاوز ذات مبدعها لتحلّق في فضاءٍ إنساني رحبٍ ،يجدُ فيه المتلقي مايستجيب لأفق انتظاره ،ويحرّك مشاعره ،مغرياً عقله ،وفكره للتأمل ،والتدبّر ،والتساؤل الطامح إلى بلوغ دلالاتها ومقاصد مبدعها .

ويمكن ادراك ذلك إذا تتبّعنا النماذج الشعرية من الملاحم القديمة، والحديثة نجد إن الشعراءَ يتخذون من (الدلالة والصورة والموسيقى)وسائط لبناء فنهم. يتوّسلون بها ليصوغوا تجاربهم ،ويكشفوا عن رؤاهم ،ويحاولوا التأثير والإقناع .

من هنا جاء اختيارنا ملاحم الشعر العربي موضوعا للدراسة ،آملا أن أسُدّ بعض ماشعرت به من إهمال الدراسات لهذا النموذج المتنوّع الثرّ من النصوص،أمّا المتن الذي اخترته للدراسة في الشقّ التطبيقي تمثّل بملاحم الشعر المسيحي لثلاثة شعراء هم بولس سلامة، وجورج شكور ،وعبد المسيح أنطاكي ، لسببين رئيسيين :الأول لأن الملاحم تشكّل مادةً شعريةً ثرّةً ،ومهمةً لم تسلط عليها الضوء ،ولم تقدّم عنها دراسات أدبية تبرز مكامن الإبداع المتجسّد بين ثنايا اللغة ،والدلالة، والصورة ،والثاني كشف رؤيا الشعراء المسيح تجاه أهل البيت ،وتأثّرهم ببلاغة وأخلاق النبي (صلى الله عليه واله)وأهل بيته وما شكّله يوم الغدير من مفرقٍ مهمٍّ في الحياةِ الإنسانيةِ عامةً .

وفي تقديري أن هذا الموضوع لا توجد دراسة شاملة وكافية إلاّ إذا تمّ الانطلاق من مفردات العنوان، وضبط مدلوله، وتحديد مفرداته، متخذين من آليات النظرية التداولية منطلقاً للتعمّق في دلالاتها، ومقاصدها، وحقيقة الوظائف التي تؤديها اللغة فيها، وأهدافها التواصلية من خلال التركيز على بنية اللغة ،والوظائف الأساسية التي تؤديها باعتباره خطاباً لا يتجسّد إلاّ عبر اللغة كونها العصب في إحداث التواصل بين المبدع والمتلقي.

لذلك قسّمت الدراسة على عدةِ محاورٍ :المحور الاول تناولنا فيه مصطلح الملحمة وتتبّعه في الدراسات اللغوية ،والنقدية كي تخرج بتعريفٍ شاملٍ يكون قادراً على استيعاب كل المفاهيم ،واستثمارها لإعطاء مصطلح الملحمة التعريف الدقيق الذي يحدّد طبيعته ومكوناته ،والمحور الثاني خصّصناه في الحديث عن التداولية منطلقا للقراءة ،والمحور الثالث الدراسة التطبيقية لكي نبرز بشكلٍ جلّي مكامنَ الإبداع في ملاحم الشعر التي اتخذت من فكرة يوم الغدير ووظّفتها بقوةٍ للتأثير والإقناع ،وذلك اعتماداً على آليةٍ مهمةٍ في التداولية هي(استراتيجية القصد ومستوياتها اللغوية).

مع خاتمة وثبت المصادر والمراجع .

لذة البحث تكمن في تتبّع خيوط الفكرة، وهي تنمو وتتطور ،وتتزايد المتعة مع كل تحليل لنصٍ شعري زاخرٍ بالحبِ والعرفانِ لآل البيت عليهم السلام سفينة النجاة .

المحور الاول:

الملاحم لغة واصطلاحا:

الملحمة في اللغة تعني تلاحم الناس، وتداخلهم بعضهم في بعض ،والملحمة الوقعة العظيمة القتل ،وهي موضع القتال ،وألحَمْت القوم حتى صاروا لحماً،وألحِمَ الرجل إلحاماً واستُلحِم إذا نشب في الحرب فلم يجد مُخْلصاً،والجمع الملاحم مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك الثوب بالسَّدى...وقيل هي اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها ،والملحمة الحربُ ذات القتل الشديد،والوقعة العظيمة في الفتنة.[١]

امّا الملحمة في الاصطلاح الأدبي تعني نوعاً خاصّاً من الشعر القصصي البطولي الذي لم تعرف العربية شبيهاً له،من حيث البناء القصصي المكتمل ،ومن حيث الحجم العددي للأبيات الشعرية التي تبلغ الآلاف،ومن حيث الشخصيات التي تسمو فوق المستوى العادي للناس الأسوياء،وتتصف بما هو من سمات الأبطال الاسطوريين،ومن سمات الآلهة ،أو انصاف الآلهة ،وفي المعتقدات الوثنية البدائية ومن حيث الوقائع ،والأحداث الخارقة التي تتخلّلها ،والوقائع الحربية التي يخوض الأبطال الملحميون غمارها ،والمآثر الخارقة التي يحققّونها، إذ تدخل في صميمِ الصراع الوطني والقومي، دفاعاً عن حق مغتصب ،وفي سبيل أن تحيا الأمة التي يمثّلونها بحريةٍ وكرامةٍ.[٢]

وقد قسّم النقاد الملحمة إلى قسمين: ملحمة أدبية ،وملحمة شعبية ،في الأولى :يعلن الشاعر في مستهلّ قصيدته عن موضوعها ،ثم يبتهل لربة الشعر، ويذكر القصة وأحداثها، وتتدخّل الآلهة في شؤون البشرِ، مستخدماً التشبيهات الطويلة ،وأسماء الأبطال ،والأشياء الهامة لحياة الأبطال كالأسلحة والسفن، والثانية: يتضح فيها النقل مشافهة ،وتكرار السرد الأمر الذي يدلُّ على إنَّها لم تكُن نتاجَ زمنٍ واحدٍ ،أو قريحةٍ واحدةٍ[٣].

ومن أبرز الملاحم الشعرية التي عرفها التاريخ ملحمة (الألياذة)للشاعر الاغريقي هوميروس ،وهي قصة شعرية طويلة تدور أحداثها حول معارك طاحنة وحروب عظيمة ،وأساطير ،وأمور خارقة تنشب بين شعبين متصارعين دفاعاً عن مُثل ومبادئ إنسانية ،ويبرز من كل جانبٍ جماعة من القادة ،والأبطال الأسطوريين وتدخل الآلهة في حوادثها ،ووقائعها الخارقة ،وقد أبدع هوميروس في صياغة ملحمته صياغةً فنيةً رائعةً من حيث التسلسل القصصي المتناسق والتوالي المنتظم للأحداث ،والتعبير المؤثّر عن أغراضه ومراميه[٤]

وبالرغم من إن للشعر العربي قبل الاسلام مكانة وحظوة ،وتأثيرا بالغ الأهمية إلاّ إنهُ لم يكُن للفن الملحمي انتشار ملحوظ ،ولم نجد سوى قصائد ،ومقطوعات معدودة ذات نفس ملحمي لا يمكن عدّها من الملاحم المعروفة ،وقد علّل الباحثون الأمر وعزوا أسباب القلة إلى عدةِ أمورٍ منها ضياع الكثير من الشعر قبل عصر التدوين ومنها خيال الجاهلي الذي لم يتسع للملاحم والقصص الطويلة لانحصاره في بادية متشابهة الصور ،محدودة المناظر، ومنها من فسّر الأمر إلى قلةِ خطر الدين في قلوبهم ، وقصر نظرهم عمّا بعد الطبيعة ،فلم يلتفتوا الى أبعد

من ذاتهم ،ولا إلى عالمٍ غير العالم المنظور ،لذلك لم تتولّد عندهم الأساطير الخصبة ،ولم تكُن لأصنامهم من الفن والجمال مايبعث الوحي في النفوس شأن آلهة الرومان واليونان ،كما إن مجتمعهم لم يساعدهم على التأمّل الطويل ،وربط الأفكار وفسح آفاق الخيال لاضطراب حياتهم برحيلٍ مستمرٍ ،فجاء نَفَسهم قصيراً كإقامتهم[٥] .

وإذا انتقلنا إلى العصر الإسلامي فإننا نلمس ذلك النفس الشعري الملحمي في القصائد الشعرية إبان الغزوات والفتوحات الإسلامية ،وقد اشتهرت سبع قصائد طويلة عُرفت بالملحمات ،وهي من صنع الفرزدق، وجرير،الأخطل ،وعُبيد الراعي ،وذي الرمة ، والكميت ،والطرماح ،واستمرت محاولات الشعراء طرق الشعر الملحمي حتى مستهلّ القرن العشرين ،إذ ظهرت الملحمة ملفتة للنظر وبثوبٍ جديدٍ ،وبمواضيع متنوعة قلّما تطرّق إليها الشعراء في العصور السابقة ،وردَّ الأدباء هذه الظاهرة إلى يقظة العرب والتفاتهم الى إمجاد أسلافهم[٦] .

تُعدّ ملحمة الشاعر أحمد شوقي (دولة العرب وعظماء الإسلام) التي بلغت ١٧٢٦ بيتا من الملاحم الشعرية الرائعة ابتدأها من ولادة الرسول العربي الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) إلى آخر الدولة الفاطمية وكتبها أيام نفيه ، و نظم الشاعر عامر محمد بحيري ملحمته (أمير الانبياء) نشرت عام ١٩٥٤ م تناول فيها حياة النبي الكريم (صلى الله عليه واله وسلم) من مولده الشريف إلى وفاته ، وتقع في ألف ومئتي بيت وكانت على بحر الوافر، والتزم في كل عشرة أبيات رويا واحدا . وكانت له ملحمة أخرى صور فيها الأحداث السياسية التي مرّت بها مصر وتقع في ألفين وأربعمئة بيت على البحر الكامل وتعدّدت فيها القافية . امّا شاعرنا الكبير الزهاوي فقد كانت له ملحمة شعرية عنوانها (ثورة في الجحيم) تناول فيها حياته بعد الموت وكيف يسأل في القبر ثم يصف أخذه الى الجحيم، ووصف الصراط ،وهناك مطوّلات وملاحم كثيرة منها قصيدة الرصافي في نكبة بغداد وقصيدة سامي البارودي في مدح الرسول الأعظم (صلى الله عليه واله وسلم) وكذلك قصيدة عبد الرزاق الهاشمي صوّر فيها بطولات وشجاعة الثوار في ثورة العشرين المباركة ،وللشاعر أيوب عباس ملحمة تناول أحداث قيام الجمهورية العراقية وسقوط الملكية ،وملحمة (الحرب المقدسة) للشاعر محمود محمد صادق صوّر فيها حرب فلسطين وغيرها ،كما إن للشيخ عبد المنعم الفرطوسي (ملحمة أهل البيت) وهي موسوعة ضخمة ودائرة معارف كبرى تضمّ بين دفتيها ألواناً من المعارف الإسلامية الغنيّة بالمضامين العقائدية، والتاريخية، والفلسفية ،والتربوية وتجلّت عبقرية الشيخ الفرطوسي في قدرته الفائقة على جمع، وتنسيق عشرات المواضيع المختلفة وصبّها في قالبٍ شعري جميلٍ وأسلوبٍ ادبي رائع يمكن القارئ من استيعابها بسهولة [٧] .

ملاحم الشعر المسيحي :

الشاعرُ المسيحي حين يكتب شعراً في أهل البيت النبويّ الشريف عليهم السلام، وأن يتحدّث عن بعض المفردات التاريخية التي تُحرِّك الجدل في كثير من خطوطها العامة والتفصيلية، ليكون له رأيٌ فيها على

أساسٍ تاريخيٍّ فكري.. أن يفعل ذلك كلَّه في حركة الثقافة في الوجدان، وفي انطلاقة الوجدان في الشعر، قد يكون شيئاً لا يتقبّله بعض الناس الذين اعتادوا أن يكون التاريخ الإسلامي خصوصيّةً للمسلمين، والتاريخ المسيحي خصوصيّةً للمسيحيين، فليس لأيّ مسيحيٍّ أن يعالج شأناً إسلامياً في قضايا الفكر ووقائع التاريخ، وليس لأيّ مسلم أن يمارس ذلك أيضاً في الشأن المسيحي.ولكن المسيحيَّ قد يعيش الإسلام حضارةً ،وروحاً ،وحركةً وإنسانيّة، إذا لم يَعِشه في حالة انتماء، وقد يعيش المسلم المسيحية في عناصرها القيمية الأصيلة رسالةً يؤمن بها ويلتزمها ويخشع لها في شخصية السيّد المسيح، الرسول الإنسان الذي هو رُوح الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم، السيدة الطاهرة التي اصطفاها الله على نساء العالمين،إنّ الحقيقة لا حدود لها في الإنسان ـ الفكر في حركتها الفكرية، وفي الإنسان الروح في امتدادها الروحي، والمعرفة إرث الإنسانيّة، في كلّ عطاءات الحياة المثقفة في ساحة الحوار وحركيّة الصراع[٨].

إننا نتصوّر أنّ للمسيحي الحقَّ في أن يبحث القضايا الإسلامية التي يملك عناصرها المعرفية، فيعطي رأياً هنا وموقفاً هناك ممّا يمكن للآخرين أن يناقشوه فيه من دون عقدة، وللمسلم الحقّ في أن يبحث القضايا المسيحية ليحدد اتّجاه الرأي فيه، ممّا قد يتحرّك الرأي الآخر نحوه في عملية مناقشةٍ وحوار.

يقول الشاعر بولس سلامة : ورُبَّ معترضٍ قال: ما بال هذا المسيحي يتصدى لملحة إسلامية بحتة ؟ أجَل، إنني مسيحي، ولكنّ التاريخ مشاع للعالمين. أجل إنّي مسيحيٌّ ينظر من أفق رحب لا من كُوّةٍ ضيّقة، فيرى في غاندي الوثنيّ قدّيساً، مسيحي يرى (الخَلق كلَّهم عيال الله)، ويرى أنْ (لا فضلَ لعربيٍّ على أعجميٍّ إلاّ بالتقوى).مسيحيٌّ ينحني أمام عظمة رجلٍ يهتف باسمه مئاتُ الملايين من الناس [أي النبيّ المصطفى صلّى الله عليه وآله]، رجلٍ ليس في مواليد حواء أعظمُ منه شأناً، وأبعد أثَراً، وأخلد ذِكراً، رجلٍ أطلّ من غياهب الجاهلية فأطلّت معه دنيا أظلَّها بلواءٍ مجيد، كُتب عليه بأحرف من نور: لا إله إلاّ الله! الله أكبر! قد يقول قائل: ولِمَ آثرتَ عليّاً عليه السلام دون سواه من أصحاب محمّدٍ صلّى الله عليه وآله بهذه الملحمة ؟ ولا أجيب على هذا السؤال إلاّ بكلمات، فالملحمة كلّها جواب عليه، وسترى في سياقها بعض عظمة الرجل الذي يذكره المسلمون فيقولون: (رضيَ الله عنه، وكرّم الله وجهَه، وعليه السلام)، ويذكره النصارى في مجالسهم فيتمثّلون بحِكَمه ويخشعون لتقواه، ويتمثّل به الزهّاد في الصوامع فيزدادون زهداً وقُنوتاً، وينظر إليه المفكّر فيستضيء بهذا القطب الوضّاء، ويتطلّع إليه الكاتب الألمعيّ فيأتمّ ببيانه، ويعتمده الفقيه المدرك فيسترشد بأحكامه[٩] .

ويطالعنا الأدب العربي بقائمة كبيرة من قاماته السامقة من الشعراء والأدباء المسيحيين الذين استلهموا من يوم الغدير الروح الإنسانية الكبيرة فكتب الشاعر اللبناني بولس سلامة ملحمة (الغدير) التي تبلغ أكثر من ثلاثة آلاف بيت، كما كتب ملحمة (علي والحسين) التي تبلغ (٢٢٠) بيتاً، وكتب عبد المسيح انطاكي (الملحمة العلوية) التي تبلغ (٥٥٩٥) بيتاً، وكتب ريمون قسيس ملحمة (الحسين) التي تبلغ

أكثر من مائة بيت ،وكتب جورج شكور وهو شاعر مسيحي ولد في قرية شيخان قضاء جبيل وله ملحمة اسمها (الحسين)،وكتب ريمون قسيس وهو شاعر مسيحي ولد في زحلة بلبنان درس في الكلية الشرقية ومارس التدريس والعمل الإداري في دائرة التربية الوطنية، وتعدّ ملحمته (الحسين) التي تبلغ (١١٥) بيتاً على وزن واحد وقافية واحدة إشراقة روح شاعر تفجّرت فيها المشاعر معبّقة بدماء كربلاء..

المحور الثاني:

التداولية منطلقا للقراءة :

كان لبلاغة شعراء الملاحم المسيح الدور الأكبر في استثمار قواميس اللغة التي تولدت منها لغة ملاحمهم الشعرية، والتي تراوحت بين السهولة ،والبساطة أحياناً وبين القوة ،والإيحاء أحياناً أخر، وذلك بحسب الظروف، والسياق الذي أنتجت فيه ومنه، فاللغة كانت وسيلة فعّالة في التأثير، والاقناع، والهدف في نجاح عملية التواصل. من خلال استثمار الشعراء لواقعة الغدير ،ونسج خطابٍ شعري يحمل قابلية التوجيه والتأثير.

وكانت هناك عدة تساؤلات طرحت نفسها أثناء قراءتنا... فيها:

- كيف أسهمت اللغة والدلالة في تحقيق فعل التواصل.
- ما علاقة الوظائف اللغوية والاستعمال.
- الكفاءات اللغوية التي استند عليها الشعراء في تحقيق مقاصدهم.
- ما مدى تفاعل المتلقي مع هذه المقاصد.
- هل للسياق دور في تحقيق فعل التواصل.
- ما الوسائل والأدوات الإجرائية التي توّخاها الشعراء في تحقيق هدف الإقناع والتأثير.

للإجابة عن هذه التساؤلات كان لابد من منطلق لتوضيح منهج القراءة التداولي.

تعطي التداولية أهمية بارزة لأقطاب العملية التواصلية اللسانية ،وهي بذلك تعكس المسار في اتجاه أغلب المناهج النقدية في بحثها عن (مقاصد المتكلم) كونه عنصراً فعّالاً في عملية التواصل، وأعطت للظروف السياقية أهمية كبيرة كونها تعمل بشكلٍ مباشرٍ في تأدية مقاصد المتكلم كما وضّحت دور المتلقي في استغلال الظروف السياقية للوصول إلى تلك المقاصد.

التداولية تيار نشأ بامتزاج ،وتقاطع مجموعة كبيرة من الأفكار ،والنظريات تتفق في الطابع الاستعمالي للغة، تعدّدت تعاريفها بحسب الفائدة التي تقدّمها، فهي تهتمّ بمقاصدِ المتكلمِ ،والبحث في أغوارِ معاني الكلام ،ومحاولة اكتشاف الأغراض التي يريدها المرسل من رسالته.

وبحسب التنوع في الفائدة تنوّع ترجمة مصطلحها إلى العربية فسمّيت بالتبادلية، والاتصالية، والنفعية ،والذرائعية لتكون فرعاً من فروعِ اللغةِ يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو دراسة معنى المتكلم[١٠] .

اهتمّ الدارسون بأثر تفاعل اللغة مع الظروف ،والمقامات في المجتمع وكيفية استعمال آليات اللغة في النظام الاجتماعي، وتعنى التداولية بالاستعمال العادي للغة من خلال العناصر الثلاثة (المتكلمون-السياق- الاستعمالات العادية للكلام)، إذ تهتمّ بالمتكلم، والسامع مشاركاً في فعل الكلام والحدث التواصلي،

وتهتمّ بظروف الكلام ومقام الحال، وكل ماله صلة بالكلام من عوامل خارجية، أو تناسب حالا من الأحوال، أو تنافر للحدث الكلامي، وتهتمّ بالسياقات اللغوية للمتكلمين حسب الواقع اللغوي فتبحث في الكيفية الخطابية لتستنتج من كل ذلك مقاصد الخطاب، فهي تعنى بدراسة اللغة في الاستعمال[١١] .

تعطي التداولية للسياق دوراً بارزاً في العملية التواصلية، والسياق هو مجموعة شروط إنتاج القول، وهذه الشروط خارجية عن القول ذاته ،فالقول وليد مقصد معيّن يستمدّ وجوده من شخصية المتكلم ،ومستمعيه ويحصل كل ذلك في وسطٍ معيّن (مكان)، وفي لحظة معيّنة (زمان)،ويصبّ اهتمامها بدراسة العلاقة بين اللغة والسياق، والمتكلم ،والسامع ،والظروف المكانية والزمانية، ومقاصد المتكلم، وظروفه، وكيفية وصول الكلام إلى السامعين، والظروف المحيطة بهم ،ودراسة العوامل التي تؤثّر على اختيار المتكلم للغة وتأثير هذا الاختيار على المتلقي ،التداولية تبحث في الحقيقة الفعلية أثناء تناول الظواهر اللغوية وتحليلها في واقعها الحقيقي الذي انبثقت منه ،والأبعاد التي تأخذها عند المتلقي في الزمان والمكان[١٢] .

وهي بذلك لا تُعدّ علماً لغوياً محضاً بل هي نظرية لأنها تستندُ إلى حقولٍ معرفيةٍ مختلفةٍ ،علمٌ جديدٌ للتواصل يَدرُس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال متكئً على مشاريعٍ معرفيةٍ متعدّدةٍ في دراسة الظواهر في مستوياتها المتداخلة كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب، والاستدلالات التداولية ،والعمليات الذهنية المتحكّمة في الإنتاج، والفهم اللغويين ،وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال لذلك هي تستند على الفلسفة التحليلية ممثّلة بفلسفة اللغة العادية ،وعلم النفس المعرفي ممثلاً في نظرية الملاءمة على الخصوص ،وعلم التواصل واللسانيات[١٣] .

ونتيجة هذا التعالق أضحى للتداولية مهام تميّزها منها:

١- دراسة اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة أي كونها (كلاماً محدداً) صادراً من (متكلمٍ محدّدٍ) موجّه إلى (مخاطبٍ محددٍ) بـ (لفظٍ محددٍ) في (مقامٍ تواصلي محددٍ) لتحقيق (غرضٍ تواصلي محددٍ).

٢- شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات.

٣- بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشرِ وغير الحرفي على التواصلِ الحرفي المباشرِ.

٤- شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرف في معالجة الملفوظات[١٤] .

تهتم التداولية بالاستخدام اللغوي وأثره في بناء النص الشعري ، لذلك ارتسمت في الذهن جملة من الافتراضات المسبقة أفضت إلى ولادة مجموعة من الأسئلة حاولنا الإجابة عنها من خلال قراءة المنهج وتطبيق آلياته الإجرائية على نصوص مختارة من الشعر الملحمي لمجموعة من الشعراء المسيح الذين استثمروا معطيات يوم الغدير في بناء نصٍ شعري ملحمي له قابلية التوجيه والتأثير،لتكون القراءة ذاتَ بعد شمولي تحاول اعطاء نتائج أبعد ،وأعمق، وتحليلها وفق إجراءات النظرية التداولية لنبين القدرة، والكفاءة اللغوية والابداعية التي ملكها الشعراء،

وطريقتهم في استخدام اللغة كوسيلةٍ توصيليةٍ ذات أبعاد دلالية عميقة الغور لكشف ستار الحجب عن جملة من المقومات التي بنيت الدراسة عليها:

١- النص الشعري الملحمي يحتلّ جزءاً واسعاً من الفضاء التواصلي يمتدّ فعله إلى فضاءات تواصلية.

٢- النص الشعري الملحمي يعتمد على الجانب المجازي في اللغة اعتماداً واسعاً وبذلك يعتمد على بناء الفعل الكلامي غير المباشر وبذلك يحقّق الجانب التداولي منه.

٣- إذا كان انجاز الفعل في النص الملحمي متعلّقا بالأطراف المتخاطبة ما حدود هذه الأطراف ؟

المحور الثالث :

استراتيجيات القصد في الملاحم ومستوياتها اللغوية

الاستراتيجية مجموعة من عمليات المعالجة الموجّهة إلى هدف والجارية عن وعي لإنتاج أهداف بعيدة المدى، وتقوم على سلسلة من عمليات اختبار واتخاذ القرار .توضع من خلالها خطوات العمل ووسائل التنفيذ وصولاً إلى تحقيق الأهداف عبر طرائقٍ محدّدةٍ تتناول مشكلة ما، أو القيام بمهمةٍ من المهامِ أو هي مجموعة من عمليات تهدف إلى بلوغِ غاياتٍ معيّنةٍ أو تدابير مرسومة من أجل ضبط معلومات محددةٍ، والتحكم بها .ويمكن القول انها خطة تهدف الوصول إلى الغرض المنشود وهذه الخطة تكون ذا بعدين الأول: تخطيطي يتحقّق على المستوى الذهني، والثاني: مادي ممثل بتجسيد الاستراتيجية، ويرتكز العمل في البعدين على الفاعل الرئيسي (مخطط الإستراتيجية ومنفذها) الذي يخطّط ويختار الإمكانات ليضمن الوصول إلى تحقيق الأهداف[١٥] .

وأبرز استراتيجيات القصد في شعر الملاحم هي:

١- الاستراتيجية التضامنية

يحاول أن يجسّد (المرسل درجة علاقته بالمرسل إليه ونوعها، وأن يعبّر عن مدى احترامه لها ورغبته في المحافظة عليها أو تطويرها بإزالة معالم الفروق بينهما، وإجمالاً هي محاولة التقرّب من المرسل إليه أو تقريبه) [١٦]

عبر استعمال اللغة للأغراض الاجتماعية التي يودّ الأفراد تحقيقها في المجتمع، إذ تقوم اللغة بوظيفة تفاعلية تسهم وبشكلٍ كبيرٍ في إقامة تلك العلاقات الاجتماعية وتثبيتها، إن قدراً كبيراً من المعاملات التي تقوم بها الناس تنهض بها اللغة بالدرجة الأولى بوصفها أداة اتصال وتعامل بين الأفراد ، سواء كان التعامل عبر المحادثات اليومية ،أو ما يكتب للتعبير عن علاقاتهم كالخطبِ والأشعارِ والسيرِ ،وإن استعمال النصوص المكتوبة أكثر تجسيداً لصياغة الوظيفة التعاملية للغة، وهذا ما يمثّله الشعر بشكلٍ كبيرٍ في التعبيرِ عن الدور التعاملي ،والتفاعلي للغة معاً، يسعى المُخاطِب إلى تبليغ معلومات ،ووقائع تتصل بالتاريخ والدين والمجتمع، وتقوية العلاقة بينه ،وبين المُخاطب عبر إيجاد وسائل لتدعيم العلاقة مثل الحالة الاجتماعية والخصائص المشتركة والدين ، واشتراك معيار العلاقة بين طرفي الخطاب تسهم في اختيار استراتيجية ملائمة للتعبير عن المقاصد بما في ذلك نوع العلاقة بكونها من العناصر المؤثّرة في ذلك الاختيار ،وقد تكون هذه العلاقة موجودة سلفاً

وإن لم تكن موجودة يسعى منتج الخطاب إلى إيجادها وقد تكون علاقة بُعدَ وصدَّ بحسب نوعية المخاطب لأن نوعيته وحالته ومقامه تؤثّر في انتقاء طريقة لإنتاج الخطاب[١٧] .

وقد ترجم الشعراء تلك العلاقات الاجتماعية القائمة على الودَّ ،والمحبة والاحترام للرسول الكريم، والإمام علي محور خطاب الغدير حسب ما اقتضاه سياق الخطاب ،والعلاقة المباشرة بالمخاطب مقدّمين مرتكزات ،ودعائم قوية لتثبيت هذه العلاقة، ورفض شتى سبل انتهاك الدعائم التي تجلّت في افتخارهم بذلك الحب وتلك العلاقة الروحية التي جمعتهم بالرسول، والإمام علي (عليهما السلام) معززين سبل الحفاظ على قوتها وهيبتها ،مستثمرين كفاءتهم اللغوية من ألفاظ وعبارات لغوية للدلالة على علاقتهم ،وتثبيت أواصرها لإحداث التفاعل بينهم وبين المرسل إليه وتجلّى ذلك بوضوح في أغلب الملاحم التي تناولت محاور يوم الغدير من الأحداث والشخصيات والمكان والزمان والحوار.

اذ يقول جورج شكور من ملحمته الامام علي[١٨]

حجَّ الرسُول ،فيا ركائبُ سيري حجّ الوداعِ

،وكان يوم غديرِ

وافَتهُ من شتى الجهات خلائقٌ وفدت لتشهد

روعة التكبير

وقد استعان شعراؤنا بمجموعة من الأدوات اللغوية لبناء استراتيجيتهم منها

١-العلم: (الاسم، الكنية، اللقب):وهو استعمال الاسم الأول للمرسل إليه عند ندائه أو التعبير عنه إذا كان المرسل أدنى رتبة من المرسل إليه رغبة في التعاطف، إذ إن لها قوة في التضامن العاطفي بين الشاعر ،والمخاطب ولو أحصينا نصوص الشعراء التي تناولت يوم الغدير ثيمة موضوعية نلمح ذكر الكثير من الأسماء ،والكنيات ،والألقاب ليكون لها الأثر الكبير في النفوس وليعطي للنصوص زخماً شعورياً، وتضامناً يحقّق التواصل والتأثير .

كما في قول عبد المسيح انطاكي[١٩] :

والمصطفى أَسمع الحجاج خطبته ال

غرَّا التي كان للتوديع مُلقيها

وضجت الناس في تلك الربوع فدى

آثامها ولقد تابت أضاحيها

أَفاض أَحمد من حج الوداعِ ومعه

الناس قد رجعت تبغي مَثاويها

الفعل المنجز من قبل المرسل (الشاعر) مدح الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد عبّر الشاعر بوصفه مرسلا عن قصده الصريح من خلال ذكر المخاطب الذي هو اعلى منه رتبة مرة دون كنية بقوله(أحمد)ومرة بلقبه (المصطفى) ويعود ذلك إلى حرص الشاعر على تقوية أواصر الحب، والاحترام لشخص الرسول الكريم، ويبدو أن السياق النصي للمقطوعة المدحية قد اتكأ على التصريح لإبراز قصد المتكلم والنطق باللقب ليكون مظهرا من مظاهر انسجامه .

امّا جورج شكور قد صرّح بالاسم من بداية النص قائلاً[٢٠]

وعليٌّ مني ,ماعلي ؟مثلما

أنا منه ،وهو خليفتي ووزيري

وسنلتقي ،يوما على الحوض
الذي كاساته من فضَّة واثير
ولسوف يأتيهم عليٌّ مبكرا
في الوافدين وقبل كُلِّ بكيرِ

ويصرّح بولس سلامة بالاسم في أكثر من نص قائلاً[٢١]

عيدك العيد ياعلي فإن يصمت
حسود أو طامس للبدور

تكرار الاسم الصريح أصبح استعماله في النص تداوليا دليلا على التضامن بشرط تلفّظ المرسل به بالتنغيم على المستوى بشكلٍ مناسبٍ للسياق والمعنى والقصد .

٢- المكاشفة:

يُعّد الكشف عن القصد عنصراً مهمّاً للتضامن، ودليلاً عن القرب، واطلاع الغير على الأشياء العامة ،وكشف أدقّ الخصوصيات فصراحة القصد مع المرسل إليه دليل على الثقة فيه، وانه سيتضامن مع القصد[٢٢] ،وقد استثمر الشعراء هذه الاستراتيجية كثيراً في نصوصهم كما في قول عبد المسيح انطاكي[٢٣]

فقال أحمد :هلا تشهدون بأن
الله ذاري البرايا وهو مفنيها
وإنَّني لرسول الله جئتكُم
بمنزلِ الآي والرحمن مُوحيها
وإنَّ جنتهُ حقٌّ وحشركم
حقٌّ ونيرانه حقٌّ يُلظيها
قالوا بلى شهدنا قال احمد :يا
رباه فاشهد ووالى القول تجريها
وقال :هلا أنا أولى وأجدر من
نُفُوسكم بكم هل توهبونيها
قالوا: نعم بلسانٍ واحدٍ ومحمدٌ
إجابتهم ذي راح راضيها
ومال للمرتضى الثاوي بجانبه
وكان يمسك يمناه ويعليها
وقال :من كنت مولاه علي له
مولى ورغباي ذي بالجهر أبديها
ثم توجه لله القدير بوجهه
وأصحابه تُصغي لهاديها
وقال :لا هَمَّ من والى عَليكَ
واله وأعداؤه أنت المعاديها

في العملية التخاطبية الجارية داخل النص نجد المرسل يفصح ،ويكشف بكل مابداخله للمرسل إليه او مجموعة المرسلين(قالوا) إذ يعكس التصريح بالقصد تفاعل الشاعر مع مضامين القضية ،والتصديق بها ممّا حرى به إلى استثمار هذه الاستراتيجية التضامنية لبيان قصده والإخبار به.

٢-الاستراتيجية التوجيهية:

يهدف المرسل إلى تبليغ قصده من وراء الخطاب عبر هذه الاستراتيجية وأن يفرض قيداً على المرسل إليه وإن كان قيداً بسيطاً، وأن يمارس فضولاً خطابياً عليه وتوجيهه لمصلحته بنفعه، وإبعاد الضرر عنه حتى لو أدّى هذا إلى التدخل والضغط على المرسل إليه الذي يكون هنا على صنفين، الأول: المتخيّل وهنا يكون المرسل على معرفة سابقه بالمرسل إليه، ويتصف خطابه بالعمومية والديمومة والمناسبة لكل

زمان، والثاني هو الحاضر عند التلفّظ بالخطاب فيكون التوجيه مقتصراً عليه لضيق السياق الذي يدور فيه الخطاب،ويعدّ التوجيه في الخطاب أكثر من مجرّد فعلٍ لغوي حسب تصنيف جاكبسون إذ يسمّي وظيفة التوجيه في اللغة بالإيعازية أو الندائية . [٢٤] وفرّت اللغة مجموعة من الوسائل اللغوية التي اعتمدها الشعراء لتوجيه خطابهم وإثبات كفاءتهم اللغوية، وبراعتهم الأدائية في توجيه الخطاب ومنها:

١-الامر:

في شعر الملاحم المسيحية ،وخاصة التي تناولت يوم الغدير دائماً ما يخرج الأمر إلى التوجيه، ويصبغ بالطابع الحكمي الذي يحمل بين طياته التأدب والإرشاد ،كما في قول الشاعر عبدالمسيح الانطاكي في ملحمته[٢٥] :

انصرْ بحولك قوماً عن تُقى نصرت
راياته والألى بالصدق تُرييها
واخذل بعدلك يارباه أنفس من
نوت له الخذلة السُّوءى مطاويها
أعنه لا هُم في سامي مقاصده
أعنْ معينيه ربي مع مُعينيها
والحقّ ربي أدرهُ كيف دار
لينصُر أو يخزي أعاديها

وقول جورج شكور في ملحمته [٢٦]

بلِّغ ،فأنت رسول ربك ،صادقا
وحي الإله ،وأنت خيرُ جدير

يستشفّ من النصوص بقرائنه اللغوية(نصر ،اخذل ،ادره،بلغ) ان القصد التواصلي ليس اصدار الأمر ،بل قصد متضمن معنى اللين والتأدب،وبذلك تقهقر القصد الاخباري للإمر في النصوص الشعري لتتصدّر دلالة الدعاء والخضوع والعفو.

٢-الاستفهام :

وهو طلب العلم بشيءٍ لم يكن معلوماً، وذلك بإحدى أدواته، وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معناها الأصلي فيستفهم بها عن شيءٍ مع العلم به لأغراض تفهم من سياق الكلام ودلالته[٢٧] ،لعب الاستفهام دوراً مهماً في المقطوعة الحوارية في ملحمة الغمام علي لجورج شكور إذ يقول[٢٨] :

ياأيها الناس الكرام ،لموشكٌ
أنِّي سأدعى ,حان يوم مسيري
فأجيبُ دعوته ،وإني مثلكم
آمنتُ ،بات ضميركم كضميري
ماذا تقولون ؟انتظرت جوابكم
أتُراهُ أخطأ أم أصاب شعوري ؟
قالوا سنشهدُ أن حملت رسالةً
بلغتها ،وغدت حديث دهور
وعلي منِّي ،ما عليٌّ؟مثلما
أنا منه ،وهو خليفتي ووزيري
وسنلتقي يوماً ،على الحوض الذي
كاساتُه من فضة وأثير
ولسوف يأتيهم عليٌّ، مبكراً
في الوافدين ،وقبل كل بكير
وهناك أَسألهم :تُرى حفظوا مع
الآيات مِ القرآن أمر أميري؟

أنجز الشاعر بوصفه مرسلا أفعالا انجازية

باستراتيجية توجيهية موظّفا تقنية الاستفهام الذي خرج من دلالته الأصلية إلى دلالة سياقية قصدية أخرى ،فالمحتوى القضوي للخطاب الموجّه للمرسل إليه هو توجيهه للآخذ بمضامين ما جاء في خطبة الغدير، والإيمان بالتكليف الشرعي بإمامة علي (عليه السلام)،وانه خليفة الرسول من خلال الدلالة المركزية في النص، والتي تجسّدت في البيت الأخير وسألهم عن حفظ ماجاء من أمرٍ في تلك الواقعة التي حدّد فيها الرسول الكريم سبل النجاة ،والارتقاء حين الآخذ بها، ووصول المرسل إليه الى مكافأته على الطاعة بلقاءِ الرسول على الحوض الذي كاساته من فضةٍ وأثير، فالمرسل لم يقصد من الاستفهام تلك الدلالة الصريحة المباشرة، وإنّما قصد التوجيه والإنذار الذي تولّد بفعل السياق النصي والمقامي .

٣-التوجيه بذكر العواقب: وهي من الآليات التي استثمرها الشاعر عبد المسيح الأنطاكي في ملحمته موظّفاً ما فيها من أفعال انجازية للتوجيه، وهذه الآلية ليس حكراً على ميدانٍ معيّنٍ أو مرسلٍ خاصٍ بل هي ملك كل من يرى أنها تخدم سياق خطابه[٢٩] .

يقول[٣٠] :

وسارت الركب في قول الرسول
لأطراف الجزيرة ترويه لأهليها
تقول للمرتضى أوصى الرسول على
غدير خم بذا أولاه تجويها
وما مضت مدة حتى الوصية شا
عت في الأعارب في سامي معانيها
قالوا :إرادة طه من إرادة با
ريه فلا مسلم برٌّ يناويها
إلا أُناسٌ أَكَنَّت بغضةٌ لعلي
ما نست أُنه قد كان غازيها
فأستعظمت أمر هاتيك الوصية لم
ترغب بها كذَّبت من راح يرويها
أو أنَّها حسداً كانت تؤول ها
تيك الوصية أو تسعى لتُخفيها
والناس إذ كثرت شتى مطامعها
لا الانبياء ولا الاملاك ترضيها
كما نرى الحارث الفهري تغضبهُ
وصية المصطفى يعنى لينفيها
ماحدثوه بها حتى امتطى عجلاً
جواده وسعى في الارض يطويها
وإذا أتى طيبة ألفى الرسول بها
في المسجد النبوي الناس يفتيها
فجاءهُ غاضباً في زي مشتبهٍ
وسائلٍ عن أمورٍ ليس يدريها
نادى :أأحمدُ قد امرتنا فأطعنا
خمسةً ماسمعنا قبل ساديها

الى قوله:

وقلت من كنت مولاه العليُّ لهُ
مولى المقالةُ ذي قد أسمعونيها
فقل لنا جهرة هل ذي المقالة من
أوضاع نفسك أم باريك مُوحيها
فقال :أحمد بل من عند ربي ما
مني أَلِيَّةُ حقٍ رحت آلِيها
والله والله ألقاها الإله إليِّ
مثلما كنت بين الناس مُلقيها

والحارث اغتاظ من قول الرسول وولى

في خطى ليس يدري كيف يخطيها

وقال :إن تك حقاً ياإلهي قو

لةُ الرسول وحقاً أنت باغيها

أرسل علينا جميعاً من سمائك أحجاراً

وعذّب نفوساً رُمت تشقيها

وما أتمَّ خزاه الله قولتهُ

في باب مسجد طه وهو تاليها

إلاّ الحجارة من عالي السماء عليه

الله سبحانه قد كان راميها

فمات حالا وتلك الحق معجزةٌ

بها أطاع رسول الله رائيها

وأيقنت أمة الهادي بأنَّ علينا

لقد فاق كل الناس توجيها

تحمل البنية الاخبارية في العملية التحاورية التي جسّدها الشاعر بين الرسول الكريم محمد صلى الله عليه واله وسلم ،وبين الفهري السياق التداولي للأحداث بعد خطبة الغدير ،والتي تبيّن تأكيد المرسل على التسلسل التصاعدي لمجرياتها وصولا الى قمة الحدث في البيت الآخير:

وأيقنت أمة الهادي بأن عليا

لقد فاق كل الناس توجيها

الذي يمثّل الدلالة المركزية للنص بوصفه فعلا انجازيا كشف عن الأنساق المضمرة المتخبئة تحت كل مجريات الأحداث المتنامية داخل الحوار ،ليفصح عن المسكوت عنه متكئا على آلية (ذكر العواقب) التي عُدت من الآليات المهمة في بنية الخطاب التداولي، والتي استعان بها الشاعر لتثبيت المعنى اولاً: بأنَّ الإمام عليا عليه السلام هو المكلّف بولاية المسلمين ،وثبوت حكم المنطوق به للمسكوت عنه ثانياً ،وموافقته له لاشتراكهما في المعنى ،لان المسكوت عنه هنا موافق للمنطوق به في الحكم وهذا مايسمّى بمفهوم الموافقة، ويسميه بعض الأصوليين مفهوم الخطاب ،ويسميه آخرون دلالة النص[٣١] .

الخاتمة:

حاولت القراءة الكشف عن فاعلية ومقتضيات واقعة الغدير في ملاحم الشعر المسيحي ،مستعينة بإجراءات النظرية التداولية ،فقد قامت بصورة أساسية على الكشف عن استراتيجية القصد ومستوياتها اللغوية ،بوصفها من أساسيات بناء النص وضرورة مهمة في ربط وتلاحم أجزائها .

وقد توصلت القراءة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

١- استطاع الشاعر المسيحي أن يمازج بين التجارب مزجاً محكماً يكاد يتوه معه القارئ بما أُوتي الشاعر من قدرةٍ لغويةٍ إبداعيةٍ مكنّته من توظيف التجارب الدينية، والإنسانية وإحيائها، واختزالها في لغةٍ شعريةٍ مرّكزةٍ ومحدودةٍ ،توحي إن اللغة ليست أداة اتصال فحسب ،وإنما هي أداة سحرية للسيطرة على الأشياء ،والكائنات ممّا أعطاها ذلك البعد التداولي الناتج عن المحاكاة الشعرية للتجارب الإنسانية للأنبياء والأولياء، والصالحين لجعل القارئ يعاين التجربة، ويستلهم منها العبر ،والحكم فيما يخدم به نفسه ومجتمعه ، ولإعطائها العناية في فضاء الاستشهاد وسعة تأثيرها في المجتمع الانساني وتداولها،وهو دليل على أهمية هذه المدونة الشعرية في تاريخ

الأدب العربي والإسلامي، هذه المقومات مجتمعه توصلنا إليها عبر قراءة هذه الملاحم الشعرية المميزة بطاقتها الفنية، واللغوية، والموضوعية، والتي تجلّت فيها واقعة الغدير بكل ماتحمل من المعطيات الدينية ،والإنسانية خدمةً للبشرية جمعاء مما حدا بشعراء الملحمة المسيح استلهام مضامينها، وصبّها في قالبٍ شعري مميزٍ اعطاها قابلية التداول، والتأثير في كل زمان ومكان .

٢- في قراءة الملاحم تداولياً رصدناَ مجموعة من الأسئلة عن المتخاطبين، المتكلم؟ وغيرها من الاسئلة التي أجابت عنها التداولية بتحليلها للكلام العادي فكيف الحال مع نصوص ملحمية راقية بفكرتها، وطريقة نظمها، وغيرها من وسائل التشكيل التي جعلت منها نصاً خالدا بخلود الفكرة التي نظمت من أجله وهي (يوم الغدير).عبر رصدنا لبعض المعطيات السياقية التي اختارها الشعراء، ودورها في بناء استراتيجية تخاطبية ملائمة لنقل المعنى، والمقصد المتوخى تحقيقه.لذلك اعتمدنا تحليل بعض الاستراتيجيات التي مكّنت الشعراء من بناء مقاصدهم برصد العناصر السياقية التي جعلت من نص الملحمة ممارسة تجري تداولياً ممّا يحول دون ثبات سماتها فالمرسل متجّدد والمرسل إليه متجدّد كذلك ،ممّا يؤكّد إن المتن الشعري الملحمي المسيحي ملائم للقراءة التداولية ،وذلك لتوفّر الأسس التي تقوم عليها وهو مبدأ القصدية .

٣-اعتنى الشعراء المسيح بخطابهم الشعري بمستوياته المتنوعة مدركين أهمية عناصر إنتاج الخطاب أثناء عملية التخاطب من وظائف ومقاصد لأجل تحقيق فعل التأثير على المتلقي من خلال استثمار مجموعة من الاستراتيجيات التي اعتمدوها في بناء خطابٍ موجّه بوصفها طريقة ناجحة للأقناع وهذا ما نادت به التداولية ،إذ كانت الاستراتيجية التضامنية وجها من أوجه انزياح أطر الانتاج الإبداعي الذي اعطى للوظيفة التوصيلية والتفاعلية أهميتها في تأكيد فاعلية الخطاب وتثبيت وتأكيد حكمه ، مستثمرا الاسم العلم والكنية واللقب في بنائه وكانت المكاشفة وسيلة مهمة لكشف قصد المخاطب،وقد اتخذ الشعراء من الاستراتيجية التوجيهية بمستوياتها اللغوية كأسلوب الأمر والاستفهام والتوجيه بذكر العواقب لتحقيق التأثير المرجوّ.

الهوامش

١- ينظر: معجم مقايس اللغة ،احمد بن فارس،ت-عبدالسلام محمد هارون ،مكتب الاعلام الاسلامي ،قم ١٤٠٤ه،ج٥-ص٢٣٨.وينظر لسان العرب،محمد بن مكرم ابن منظور،نسقه ووضع فهارسه علي شيري،دار احياء التراث العربي –بيروت ، ط١ -١٩٨٨،ج١٢-ص٢٥٤.

٢- ينظر:المعجم المفصل في اللغة والادب،اميل بديع يعقوب ، وميشال عاصي ،دار العلم للملايين –بيروت ،ط١٩٨٧،١،ج٢،ص١١٩١ .

٣ - ينظر:معجم المصطلحات العربية في اللغة ،و والأدب،مجدي وهبه، وكامل المهندس، مكتبة لبنان –بيروت ،ط١٩٨٤،٢،ص٣٨٣ .

٤ - ينظر:الياذة هوميروس ،سليمان البستاني ،دار أحياء التراث العربي،بيروت،د.ت،ج١،ص١٦٦،وينظر:فن الشعر أرسطو ،ترجمه وشرحه عبدالرحمن بدوي ،دار الثقافة- بيروت،١٩٧٣،ط٢،ص٦٧ .

٥ - ينظر تاريخ اداب العرب ،مصطفى صادق الرا فعي ،دار الكتاب العربي _بيروت،١٩٧٤،ج٣،ص١٤٤-١٤٥،وينظر ادباء العرب في الجاهلية والاسلام ،بطرس البستاني ،دار نضير عبود–بيروت،١٩٨٩،ج١،ص٤١-٤٢ ،وينظر:الشعر الملحمي تاريخه واعلامه،جورج غريب ،دار الثقافة –بيروت،ص١٢

٦ - ينظر:جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام ،أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ،حققه وزاد في شرحه علي محمد البجاوي ،د-ت،ص٦٩٤،وينظر :الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ,أنيس مقدسي ،دار العلم للملايين_بيروت ،ط٥ ،١٩٧٣،ص٣٩٥.

٧ - ينظر: دول العرب وعظماء الإسلام ،احمد شوقي ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ٢٠١٢،وينظر:أمير الانبياء،عامر محمد بحيري ،مطبعة العلوم –القاهرة،١٩٥٤ ،وينظر:ملحمة اهل البيت،عبد المنعم الفرطوسي ،مؤسسة اهل البيت ،لبنان-بيروت

٨ - ينظر :أهل البيت في الشعر المسيحي http://arabic.al-shia.org

٩ - ينظر :الامام علي في عيون الشاعر بولس سلامة،ناجي بن داوود الحرز،مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر،٢٠٠٥،ص١١

١٠ - ينظر: المقابلة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ت: سعيد علوش، مركز الأنماء القومي، ص٤٩-٥٢. ودليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي وسعد البازغي، المركز الثقافي العربي، ط٢، الدار البيضاء، ٢٠٠٠، ص١٠٢، والمدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة- مصر، ٢٠٠٤، ص١٦٥.

١١ - ينظر: مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، ط١، الجزائر، ٢٠٠٠، ص١٨٥

١٢ - التداولية ، سحالية عبد الحكيم، مجلة المخبر- أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ع٥، مارس ٢٠٠٩، ص٤، وإشكالية النص في اللسانيات التداولية، حمو الحاج ذهبية، الجزائر، مجلة سمات، ص٤٩. Semat 3.No.1 (Jan. 2015

١٣ - ينظر: التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص١٦

١٤ - ينظر: م. ن، ص٢٦-٢٧

١٥ - ينظر: استراتيجيات الخطاب في النشيد الوطني، دراسة تداولية، يونسي فضيلة، رسالة ماجستير جامعة مولود معمري تيزي، وزو الجزائر، ص٤٣.

١٦ - إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤، ص ٢٥٧.

١٧ - ينظر تحليل الخطاب ج ب براون ،ج.بوك،النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود١٩٩٤،ص٣.

١٨ - ملحمة الامام علي(عليه السلام) ،شعر جورج شكور ،مكتبة الروضة الحيدرية،ط١- ٢٠٠٧،ص٥٩

١٩ - ملحمة الامام علي أو القصيدة العلوية المباركة ،عبد المسيح أنطاكي ،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،ط ٢،،١٩٩١،ص ٢١٢

٢٠ - ملحمة الامام علي ،جورج شكور ،ص٦٣

٢١ - عيد الغدير اول ملحمة عربية ،بولس سلامة،مطبعة النسر –بيروت،١٩٤٩، ص١٣١

٢٢ - ينظر:استراتيجيات الخطاب ،ص٣٠٢

٢٣ - ملحمة الامام علي او القصيدة العلوية المباركة،ص ٢١٤-٢١٥وينظر ملحمة الامام علي ،جورج شكور، ص٦٢

٢٤ - ينظر:التواصل اللغوي ووظائف اللغة في الالسنية (علم اللغة الحديث قراءة تمهيدية)رومان جاكبسون،ميشال زكريا ،المؤسسة العربيةللدراسات والنشر،ط١،بيروت-لبنان، ١٩٨٥،ص٥٢

٢٥ - ملحمة الامام علي ،عبد المسيح انطاكي ،ص٢١٥

٢٦ - ملحمة الامام علي ،جورج شكور ،ص٦٢

٢٧ - ينظر:مفتاح العلوم للسكاكي،ضبطه نعيم زوزور،دار الكتب العلمية،بيروت –لبنان ،ط٢،١٩٨٧،ص١٣٣

٢٨ - ملحمة الامام علي، جورج شكور،ص٦٣-٦٤

٢٩ - ينظر: استراتيجيات الخطاب،ص٣٦٠

٣٠ - ملحمة الامام علي ،عبد المسيح الانطاكي ،ص٢١٦-٢١٧

٣١ - ينظر معجم مصطلحات اصول الفقه، قطب مصطفى ،دار الفكر المعاصر، بيروت-ط١، ١٤٢٠ه،ص٤٢٩-٤٣٠

المصادر والمراجع

١- الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث ,أنيس مقدسي ،دار العلم للملايين_بيروت ،ط٥ ،١٩٧٣.

٢- ادباء العرب في الجاهلية والاسلام ،بطرس البستاني ،دار نضير عبود –بيروت ،١٩٨٩.

٣- استراتيجيات الخطاب في النشيد الوطني، دراسة تداولية، يونسي فضيلة، رسالة ماجستير جامعة مولود معمري تيزي، وزو الجزائر .

٤- إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤.

٥-إشكالية النص في اللسانيات التداولية، حمو الحاج ذهبية، الجزائر، مجلة سمات، ص٤٩.

٦- الياذة هوميروس ،سليمان البستاني ،دار أحياء التراث العربي .

٧- أهل البيت في الشعر المسيحي .http://arabic.al-shia.org

٨- الامام علي في عيون الشاعر بولس سلامة،ناجي بن داوود الحرز،مؤسسة أم القرى للتحقيق والنشر،٢٠٠٥.

٩- أمير الانبياء،عامر محمد بحيري ،مطبعة العلوم – القاهرة،١٩٥٤ .

١٠- تاريخ اداب العرب ،مصطفى صادق الرا فعي ،دار الكتاب العربي _بيروت، ١٩٧٤ التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

١١- تحليل الخطاب ج ب براون ،ج.بوك،النشر العلمي والمطابع جامعة الملك سعود١٩٩٤.

١٢-التواصل اللغوي ووظائف اللغة في الالسنية (علم اللغة الحديث قراءة تمهيدية)رومان جاكبسون،ميشال زكريا ،المؤسسة العربيةللدراسات والنشر،ط١،بيروت-لبنان، ١٩٨٥.

١٣- جمهرة اشعار العرب في الجاهلية والاسلام ،أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي ،حققه وزاد في شرحه علي محمد البجاوي ،د-ت.

١٤- ودليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي وسعد البازغي، المركز الثقافي العربي، ط٢، الدار البيضاء، ٢٠٠٠.

١٥- دول العرب وعظماء الإسلام ،احمد شوقي ،مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة .

١٦- عيد الغدير اول ملحمة عربية ،بولس سلامة،مطبعة النسر –بيروت، ١٩٤٩

١٧ -الشعر الملحمي تاريخه واعلامه،جورج غريب ،دار الثقافة.

١٨- فن الشعر أرسطو ،ترجمه وشرحه عبدالرحمن بدوي ،دار الثقافة- بيروت،١٩٧٣،ط٢.

١٩- لسان العرب،محمد بن مكرم ابن منظور،نسقه ووضع فهارسه علي شيري،دار احياء التراث العربي – بيروت ، ط١ -١٩٨٨.

٢٠- مبادئ في اللسانيات، خولة طالب الإبراهيمي، دار القصبة للنشر، ط١، الجزائر، ٢٠٠٠.

٢١- المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، مكتبة الآداب، ط١، القاهرة- مصر، ٢٠٠٤.

٢٢- معجم المصطلحات العربية في اللغةو والأدب،مجدي وهبه وكامل المهندس، مكتبة لبنان بيروت ،ط ٢-١٩٨٤.

٢٣- المعجم المفصل في اللغة والادب،اميل بديع يعقوب وميشال عاصي ،دار العلم للملايين –بيروت ،ط١ -١٩٨٧ .

٢٤- معجم مقايس اللغة ،احمد بن فارس،ت-عبدالسلام محمد هارون ،مكتب الاعلام الاسلامي ،قم ١٤٠٤ه.

٢٥- مفتاح العلوم للسكاكي،ضبطه نعيم زوزور،دار الكتب العلمية،بيروت –لبنان ،ط٢، ١٩٨٧

٢٦- المقابلة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ت: سعيد علوش، مركز الأنماء القومي.
٢٧- ملحمة الامام علي(عليه السلام) ،شعر جورج شكور ،مكتبة الروضة الحيدرية،ط١- ٢٠٠٧.
٢٨ - ملحمة اهل البيت،عبد المنعم الفرطوسي ،مؤسسة اهل البيت ،لبنان-بيروت .
٢٩- ملحمة الامام علي أو القصيدة العلوية المباركة ،عبد المسيح أنطاكي ،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،ط٢-١٩٩١ .

بسم الله الرحمن الرحيم
والضحى
والليل إذا سجى